التحدّيات المشتركة للحوار بين الإسلام والمسيحية

الأستاذ الدكتور: مسعود حايفي

جامعة الملك خالد –أبها– المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

يواجه الإسلام والمسيحية اليوم تحدّيات اكثيرة و متنوعة منها النّزعة المادية، أزمة القيّم في العالم المعاصر، الهيمنة الأمريكية، الصّراعات والحروب، العلم والتكنولوجيا وآثارهما على الإنسان والبيئة، اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي بين الشمال والجنوب. هذه التحدّيات المذكورة وتحدّيات أخرى، هي في الحقيقة مجالات للعمل المشترك بين أتباع الدّيانتين، تفتح أمامهم آفاقاً جديدة، من أجل تقديم إجابات موحّدة ومقنعة وفعّالة من أجل تحسين وضع الإنسان، ليصبح الإنسان المنشود من وراء هذا العمل المشترك، هو الإنسان الذي يتجاوب مع الله ويتجاوب مع سائر الضمائر، ويتجاوب مع الكون فيتجاوب مع نفسه.

Research Summary:

Today, Islam and Christianity face many challenges, including materialism, the crisis of values in the contemporary world, American hegemony, conflicts and wars, science and technology and their effects on human beings and the environment, the economic and social imbalance between the North and the South. To provide a unified, convincing and effective response to the improvement of the human condition, so that the person sought by this joint action is the person who responds to the And it responds to him with other consciences, and respond to the universe Vetjob with himself.

تواجه الأديان، الإسلام والمسيحية بصورة خاصة، اليوم تحدّيات كثيرة ومتنوعة، وتمثّل الإجابات المشتركة عنها آفاقاً للحوار بينهما، ومن التحدّيات المشتركة التي تنتظر المواجهة، والإجابة عنها:

1-النّزعة المادية:

آلت قيادة الفكر البشري، في القرون الأخيرة، إلى الفكر الغربي وهو فكر صادر عن مرجعية يونانية، أُسّسَ عليها وتشرّبَ من ينابيعها، لهذا فهو فكر مادي في أغلب اجتهاداته ومذاهبه، إذ المعروف عن الفلاسفة اليونان الأوائل، خاصة أنصار مذهب الذرّة[1]. منهم، أنّهم لم يقرّوا أو لم يعترفوا بالخلق من العدم.. كما وضع فلاسفة اليونان المبادئ الهامة التي غدت من بعدهم المُؤَسِّسَة لكل مذهب مادي في الفكر الإنساني عامة.. وغني عن البيان أنّ مقتضى هذا التصوّر المادي إنكار ماليس بمادي، ممّا جعله منبعاً ومصدراً للإلحاد بكل دلالته[2].

ولقد حاولت المسيحية في بداية انتشارها في العالم الرّوماني- اليوناني، اقتلاع هذا التفكير المادي، من خلال دعوتها إلى الرّوحانية والتّعالي، ولكنَّ الكنيسة، فيما بعد، فرضت على النّاس أموراً أبعد ما تكون عن الرّوحانية،حيث أقبلت هي بنفسها على الدنيا وأصبحت، عن طريق مفاهيم خاطئة، موجِّهة للعقل والحياة الإنسانية، بل ومراقبة لهما في كثير من الأحيان، ممّا دفع الفكر الأوربي إلى نبذها. هذا الأمر جعل الفلسفة الغربية فيما بعد تبتعد في قضاياها ومناهج استدلالها عن اللآهوت الكنسي، فظهرت المذاهب الجديدة المبتعدة عن الميتافيزيقا واللآهوت، حيث غلب على مدارسها ومذاهبها الإلحاد الصّريح،

1. مذهب الذرّة: اتجاه فلسفي يرد الكون إلى جزئيات،تتلاقى فيكون الوجود وتتفرّق فيكون العدم.

2. د/ عرفان عبد الحميد فتاح: إسلامية المعرفة ومنهجية التثاقف الحضاري مع الغرب، مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية عدد5 جويلية 1996 ص 26 و 27.

نتيجة الغرور والثقة المفرطة في تقدّم العلوم المادية والصناعات في أوربا، كما تصاعد تيار الوضعية [1]. الذي تحدّى كل تراث الفلسفة والميتافيزيقا، كما مسَّ وأثّر في مفاهيم ومناهج العلوم الإنسانية، حيث استبعد بدوره العامل الدّيني والخلقي، فكان من النّتائج الخطيرة لهذا التوجّه أن استقلّ العقل بذاته، ووفق آلياته الدّاخلية الخاصة بصورة واضحة، عن كل غاية إنسانية، كما كانت النتيجة أن أنكر الفكر الغربي الحديث الإله وأقصى الماورائي والوحي وتعاليمه وهمّش الأخلاق. ولم ينسَ العلماء أيضاً، علماء الطبيعة، عندما آلت إليهم الغلبة، بداية من عصر النهضة، مواقف الكنيسة المعادية للعلم ومقولاته الصّحيحة، والمعرقلة لتقدّم الحضارة الإنسانية لعدّة قرون، فدخل العلم والعلماء معركة أخرى ضد الدّين ورجاله،المسيحية خصوصاً، فتدعّم موقف الاتجاه الفلسفي الطبيعي المادي الإلحادي.

ولقد كان من نتائج استبعاد الفكر الكنسي القديم، الذي كان يدور حول موضوع "اللآهوت"، أن تمّ وضع الإنسان موضع الإله ذاته، بعد أن أضيفت إليه كل الصّفات والخصال التي كانت تُحملُ على الإله في الفكر الكلامي المسيحي، وبذلك تمّ وضع لاهوت الأرض مقابل لاهوت السماء، كما وضعت مملكة الأرض في مقابل مملكة السماء، ومن المؤكد أنّ ماسجّله الإنسان الغربي من انتصارات تاريخية وفتوحات فكرية وعلمية جبارة، خاصة في القرنين الماضيين(19و20)، قد غَدَّتْ في نفسه ووعيه الإحساس المتضخّم بالذّاتية الإنسانية، مقابل مشاعر التّضاؤل والّتصاغر التي كانت تستولي عليه[2].

1. الوضعية المنطقية: اتجاه فلسفي يقوم على التجربةأساسا،يعدّها المصدر الوحيد للمعرفة،ثم تحولتإلى دراسة تحليلية للغة العلم في فروع مختلفة.

2. رفيق عبد السلام بوشلاكة: مآزق الحداثة والخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية العدد6 1996ص 129.

وإذا كان هذا هو مصير المسيحية في المجتمعات الغربية، فإنّه من السّذاجة أن ندّعي أنّها وحدها كانت عرضة لمثل هذا التحوّل، فالقوى التي أحدثت هذا التغيير تعمل عملها، وإن في بطء وبدرجات متفاوتة، حسب الأصناف الاجتماعية، في المجتمعات التي تَدين بالإسلام[1].

لقد كانت حملة نابوليون بونابرت على مصر بداية التحوّل، الذي شهده العالم الإسلامي فيما بعد، نحو تقليد المجتمعات الغربية في توجّهاتها الفكرية، يقول الدكتور محمد عمارة : "إنّ بونابرت لم يصحب معه المدفع وحده بل أتى بفكرة " الحضارة الغربية"، وبالمطبعة والصّحيفة أيضاً.. ومنذ ذلك التاريخ بدأ " التغريب " كواحد من أخطر التحدّيات التي واجهت وتواجه الإسلام والمسلمين في العصر الحديث"[2]. لقد انبهر المسلمون بالحضارة الغربية وبمنتجاتها، كما انبهر المتعلمون منهم خاصة بالأفكار التّنويرية، وقصد الدفع بالمجتمع الإسلامي نحو التّحديث والعصرنة، دفع العالم الإسلامي بخيرة أبنائه الأذكياء إلى معابد العلوم الطبيعية في الغرب، عن جهل مطبق بأرباب المعبد العلمي وشياطينه، بل محرضاً إيّاهم على عدم الرّبط بين مايتلقونه من تلقين علمي وبين دينهم، لذلك خسروا الإثنين معاً: الدّين والعلم"[3]. وبهذا وُجِدَ في المجتمعات الإسلامية، وخاصة بين النخبة، من تبنى الوضعية المنطقية في معالجة القضايا الفلسفية والاجتماعية،ومن يشكّك في صحة الوحي، ومن يدعو إلى إبعاد الدّين عن الحكم والحياة بمعنى هذا الماورائي والغيبي وإبعاد الدين عن توجيه الحياة

1. د/عبد المجيد الشرفي: الفكر الاسلامي في الرد على النصارى المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986ص 527 .

2. د/ محمد عمارة: العلمانية ونهضتنا الحديثة دار الشروق القاهرة ط2، 1986، ص 9.

3. د/ اسماعيل راجي الفاروقي: التراث الفلسفي الحديث المعهد العالمي للفكر الإسلامي و.م.أ.1981 ، ص 17.

الإنسانية. وهي كلّها نتيجة للتأثر الثّقافي والحضاري بالغرب، لهذا لم تعد المجتمعات الإسلامية بمنأى عن تأثير التّيارات الفكرية الغربية.

إذاً الوضع لم يعد بحاجة إلى أن تواجه الأديان بعضها بعضاً، وإنّما الوضع يستلزم أن تكون الأديان كلّها في جبهة واحدة ضد كل هذه التّيارات المادية الملحدة، التي اتخذت أشكالاً ومبررات مختلفة. ومن هنا تأتي ضرورة الحوار بين المسلمين والمسيحيين اليوم أكثر من أي وقت مضى، إنّ التّعاليم الدّينية للإسلام والمسيحية ملزمة ببعث قيم الإيمان بالله، وإعادة الاعتبار للدّين، وهذا مايضاعف من المسؤولية، مسؤولية المسلمين والمسيحيين معاً، يقول البابا يوحنا بولس الثاني:" إنّ الحوار بين المسلمين والمسيحيين ضروريٌّ اليوم، أكثر من أيِّ وقت مضى، فهو يَنْتُج عن إخلاصنا لله، ويفترض أن نعرف كيف نعترف بالله بواسطة الإيمان، وكيف نشهد له، في عالم لا يزيد مع الأيام إلاّ دينونة، بل إلحاداً في بعض الأحيان"[1]. فالمسلمون والمسيحيون، على السّواء، لهم شيء يقولونه معاً، والذي يتجاوز تماماً مايمكن أن يخترعه العلم والفلسفة، وأكبر العقلاء وأفضلهم[2].

إنّه مهما كان التحدّي صعباً وقاسياً، وأحياناً باعثاً على اليأس، لإنسان شتّته الايديولوجيات، فلا مجال لترك الأوضاع على ماهي عليه، بل واجب على الضّمير المؤمن المتديّن الواعي، أن يعمل ويضطلع بالمسؤولية، في عملية صياغة جديدة لعلاقة الإنسان بالله، ومن ثمّ إعادة صياغة علاقاته الأخرى مع الكون والكائنات.

2- أزمة القيّم في العالم المعاصر:

1. دراسات إسلامية مسيحية: العدد 11 1985، ص 3.

2. موريس بورمانس: المسلمون والمسيحيون هل عندهم مايقولونه" ضمن كتاب وثائق عصرية" ، ص 34.

لقد تعرّض نظام القيّم المعاصر، في السّنوات الأخيرة من القرن الماضي وبداية القرن الحالي، إلى تحوّلات عاصفة ومدوّية طالت المجتمع الإنساني كلّه، ولقد أظهرت هذه التحوّلات ماينبئ بهزة كبرى تصيب عالم الإنسان، تجعله على غير سويّته التي أرادها له الله وتبدّل أحواله على الجملة، ولم تكتف هذه الهزة بالأحياز الاقتصادية والسّياسية، التي سعى الغرب إلى القبض عليها عن طريق تحويل العالم إلى مجال جيو- استراتيجي للعبة السيطرة والاحتواء بالقوّة، بل تجاوزتها لتحدث انهيارات مروّعة في أنظمة القيّم الثّقافية والأخلاقية.

لقد كرّس الغرب الفردانية كقيمة على حساب القيمة الجماعية، وقيّم السوق وتحجيم الاقتصاديات المحلية، وقيّم المنافسة بلاحدود، وتراجعت وظيفة الأسرة وقدسية الزّواج التّقليدي، وكرّس العلمانية وهمّش المقدّس وفتح المجال للحرية الفردية بلا حدود، ودون مسؤولية أخلاقية. فكانت النتيجة أن ظهرت حاجة الناس، في عالم تقني معقّد تصعب الإحاطة به، في حياتهم الخاصة إلى نقطة استدلال وإلى اتجاه يدلهم على الطريق السّوي، كي يمتلكوا المعايير الضرورية لتحديد هدفهم، وبوجيز العبارة يشعر البشر بالحاجة إلى أن يستندوا إلى توجّه أخلاقي أساسي، فمن دون الارتباط بالمعنى والقيّم والقواعد الأخلاقية لا يستطيع الإنسان أن يتصرف حقّاً كما يجب، سواء أكان في الأمور الكبيرة أم الصغيرة[1].

إنّ الغرب يعاني من فراغ في المعنى والقيّم والقواعد الأخلاقية، وأنّ هذه المشكلة ليست مشكلة أفراد فحسب، بل مشكلة على أعلى مستوى،بل إنّ الأمرلم يعد قاصراً على الغرب، بل تعداه إلى المجتمعات الأخرى، ومنها المجتمعات

1. هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي ص 64.

الإسلامية، فمع تصدير المحرّكات وتقنيات الكومبيوتر ووسائل الاتصال وغير ذلك، تمّ تصدير القيّم التي تسود داخل المجتمع الذي

صدّرها[1]. قيّم الفردية والعلمانية، قيّم السوق والمنافسة، وتراجع وظيفة الأسرة والإدمان وزواج المثل...

إنّ الأزمة الرّاهنة في نظام القيّم، تفرض إعادة فتح الطريق لنظام قيّم جديد يعيد التوازن إلى العالم، ويحدّ من الانهيارات المفتوحة، ينبغي التّفكير بالأخلاق وبتوجّه الإنسان الأخلاقي، نحن جميعاً في حاجة إلى الأخلاق، أي إلى التّعاليم الدينية المتعلقة بالقيّم والقواعد الأخلاقية، التي توّجّه قراراتنا وأعمالنا، فالمبادئ والقواعد الأخلاقية ينبغي أن تتدخل في مناقشة القرار العملي كمقياس للتّقويم والتّمييز من أجل خير الإنسان. ففي المقاصد العليا للإسلام والمسيحية فضاء وفير لجعل الإنسان مركز الوجود، والتّعامل مع هذه المقاصد كمسلك عملي في الحياة غاية يجب إدراكها[2].

أسس النّظام الأخلاقي الإنساني في الإسلام والمسيحية:

الإنسان في مفهوم الأديان السّماوية هو المخلوق الذي ميّزه الله تعالى عن سائر المخلوقات، وأعطاه المؤهّلات والقوى والملكات، كماسخّر له مافي البّر والبّحر، ولم يكن ذلك إلاّ للإنسان.

في العودة إلى المسيحية نجد بأنّ مفهوم الإنسان ينطلق من أنّ الله تعالى خلق الإنسان على صورته وجعله رأس المخلوقات، وبعدها كان التّعدّد والتّنوّع، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس:" إنّ النّاس في الأصل من دم واحد، غير

1. عبد المولى عز الدين: في الرؤية الغربية لتاريخ الحداثة مجلة إسلامية المعرفة- المعهد العالمي للفكر الإسلامي السنة الأولى العدد الرابع أفريل1996 ص 125.

2. مجموعة من الباحثين: الإسلام والمسيحية بحوث في نظام القيّم المعاصر، معهد الدراسات الإسلامي للمعارف الحكمية،دار الهادي بيروت ط1، 2003 ص9.

أنّهم تفرّقوا بعدئذ إلى أمم وقبائل عديدة يتميّز بعضها عن بعض، في اللون والقامة والهيئة واللّغة والعادات، وقد قطنت كل أمة من بقاع الأرض ماخصّتها به العناية الإلهية، وخلق الله الإنسان من التراب، وخلقه على صورته تعالى مميّزاً إياه عن سائر الكائنات الحيّة، بما أودعه فيه من روح حيّة خلقية، تؤهّله ليكون مشابهاً صورة خالقه جلَّ شأنه، وقد أوجد الله فيه العواطف الخلقية والميول الرّوحية والقوى العقلية...وبعدما خلق الله الإنسان على صورته، وضع له من الشرائع الإلهية ماينبغي عليه أن يسير وفقاً له"[1].

وقد أكّد أحد فلاسفة الأخلاق المسيحية وهو يحي بن عديّ[2]. أنّ الإنسان متميّز عن سائر المخلوقات وأنّ تميّزه يكتمل بمكارم الأخلاق، يقول بن عديّ :" اعلم أنّ الإنسان ذو فكر وتميّز وهو أبداً يحب من الأمور أفضلها، ومن المراتب أشرفها، ومن المقتنيات أنفسها، إذ لم يعدل عن التمييّز في اختياره، ولم يغلبه هواه في اتّباع أغراضه.. ومن تمام الإنسان وكماله أن يكون مرتاضاً بمكارم الأخلاق ومحاسنها ومتنزّهاً عن مساوئها ومقابحها، آخذاً بجميع أحوالها بقوانين الفضائل، عادلاً في أفعاله عن الرّذائل"[3].

والنّظام الأخلاقي في المسيحية ينطلق من القيّم التي حدّدها الدّين، على أنّها أساس حركة الحياة البشرية، ووضع من خلالها ضوابط ووصايا، ومن النّصوص في هذا الباب:" فلنخلع أعمال الظّلام ولنلبس سلاح النّور، لنسر سيرة كريمة كما نسير في وضح النّهار، لاقَصف ولا سكر ولافاحشة ولا فجور ولا

---

1. بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة ط9، 1994 ص 123.

2. يحي بن عديّ:(894م–975م) فيلسوف ومتكلم مسيحي ولد بتكريت وانتقل إلى بغداد وقرأ على الفرابي، وترجم عن السريانية كثيراً إلى العربية توفى ببغداد من كتبه " تهذيب الأخلاق" وشرح مقالة الإسكندر.

3. يحي بن عديّ: تهذيب الأخلاق دراسة وتقديم جاد حاتم دار المشرق بيروت 1985 ص45.

خصام ولا حسد"[1]. وفي إنجيل مرقص استكمال لهذه الوصايا، فحينما سأل أحد النّاس المسيح عليه السلام عن الوصايا التي على الإنسان أن يتبعها ليكون من أهل الخلاص كان الجواب:" لاتقتل، لاتزن، لا تسرق لا تشهد الزور، لاتظلم أكرم أباك وأمّك، فقال له: يامعلم، هذا كلّه حفظته منذ صباي، فحدّق إليه يسوع فأحبّه، فقال له: واحدة تنقصك، اذهب فبع كل ما تملك وأعطه للفقراء، فيكون لك كنزاً في السّماء وتعال فاتبعني"[2].

إنّ هذين النصّين يحدّدان بشكل جلّي أسس النّظام الأخلاقي للإنسان، واتّباع مثل هذه الوصايا يتسامى بالإنسان فوق الأهواء والنّوازع المادية، ويرقى به باتجاه الطّهر والتّزكية النّفسية، وفي النّصوص المسيحية كذلك: "ألقوا عنكم كل دنس وكل مايفيض من شرّ، وتقبّلوا بوداعة الكلمة المغروسة فيكم، والقادرة على خلاص نفوسكم،وكونوا ممّن يعملون بهذه الكلمة، لا ممّن يكتفون بسماعها فيخدعون أنفسهم"[3].

هذا النصّ تأكيد على أنّ واجب الإنسان هو العمل على تطهير نفسه من كلّ رذيلة وشرّ، وأن يطيع الشريعة، ويكون ذلك بأنّ يقرن القول بالعمل، فالعمل هو التّرجمة الفعلية الصّادقة لما تكنّه النفس ولما يوجد في الفكر من قناعات.

إنّ طاعة الله هي المعيار في النّظام الخلقي والاجتماعي والدّيني المسيحي، وقد جاء في إطار التّأكيد على ذلك بلسان المسيح عليه السّلام: " لأنّ من يعمل من مشيئة الذي في السّماوات هو أخي وأختي وأمّي"[4].

1. رسالة بولس إلى أهل روما الإصحاح 13.(قصف: معناها الجلوس في شرب ولهو وما شابه ذلك).
2. انجيل مرقص: الإصحاح 10.
3. رسالة يعقوب: الإصحاح1.
4. انجيل متى: الإصحاح 3.

وإذ انتقلنا إلى الإسلام، وجدنا أنّ الإنسان، وفق التصوّر القرآني، مستخلف في الأرض من قبل الخالق سبحانه وتعالى "**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** " [1].

هذا الإنسان الذي استخلفه الله تعالى في الأرض، أعطاه من الخصائص مالم يعط أي مخلوق آخر، وهذا ما قرّره قول الله تعالى:" **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** " [2].

وهو مخلوق على أحسن صورة تكريما لإنسانيته، وهذا التكريم يأتي من خلال التفضيل، وهذا ما جاء في قوله تعالى:" **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** " [3].

بعد ذلك بعث الله تعالى الأنبياء والرّسل وصولاً إلى النّبي الخاتم محمد- صلى الله عليه وسلم- من أجل هداية الإنسان ونقله إلى شاطئ الأمان، إذا التزم بشرع الله وأطاع ماجاء فيه ، وإذا كانت العبادات هي سبيل الصّلة بين الإنسان وربّه، فإنّ الأخلاق في نظام القيّم الضابط للسلوك مع بني البشر تأتي في رأس القائمة ، لهذا كانت المعيار في الثّناء الإلهي على الرّسول محمد-صلى الله عليه وسلم-"**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** " [4].

وقد جاءت السّنّة النّبوية وسيرة المصطفى-صلى الله عليه وسلم- تؤكّدان على الخلق الحسن وقيمته، فالأخلاق هي أساس الدّعوة من أجل صلاح

---

1. سورة البقرة: الآية 30.
2. سورة التين: الآية 4.
3. سورة الإسراء الآية 70.
4. سورة القلم الآية 4.

الفرد والمجتمع وما مهمّة الرّسول إلاّ الدعوة إلى مكارم الأخلاق. ذلك أنّ الأخلاق تحقّق الكمال لشخصية المؤمن، بل هي من مقوّمات هذه الشخصية، ففي الإسلام أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.

وقد جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النّبوية موجّهة إلى الأسس التي تشكل عماد النّظام الخلقي القويم الذي يحقّق أعلى المراتب الإنسانية.

من هذه النّصوص قول الحق تبارك وتعالى:" **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**" [1].

فالإنسان في منظور الإسلام هو المحور والأخلاق هي الأساس ، هذا الإنسان تتنازعه طبيعتان، ملائكية نورانية وأخرى شهوانية غريزية، وتبعاً لهذا التركيب أصبحت تتنازعه ثنائيات الخير والشرّ والفضيلة والرذيلة، ولا خلاص له إلاّ سفينة نجاة محاسن الأخلاق المستفادة من الدين، لأنّ مصدره الله الذي يريد الخير والصّلاح لعباده[2]. ذلك أنّ الأخلاق المنطلقة من قيّم وأسس دينية يرافقها عامل ضبط مهم هو الضّمير الدّيني، وهو عبارة عن نداء داخلي يخاطب صاحبه عند كل موقف افعل أو لاتفعل، يضاف إلى ذلك أنّ القيّم والمبادئ التي جاء بها الدّين تستهدف تحقيق كرامة الإنسان وسعادته، التي حدّدها علماء

1. سورة الأنعام الآيتان 151 و 152.

2. الدين في اصطلاح علماء الإسلام: هو وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل.

الإسلام وأطلقوا عليها اسم مقاصد الشريعة، وهي عند الإمام الشّاطبي في كتابه" الموافقات"حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ الدّين،حفظ النّسل وحفظ المال[1].

وإذا كان كلٌ من المسيحية والإسلام يقصدان، من خلال الأسس التي وضعاها لنظام الأخلاق والقيّم، تحقيق خير الإنسان وسعادته، فلا بد إذن وفي سياق الاحترام المتبادل، من تحالف المؤمنين(من المسلمين والمسيحيين) من أجل إيجاد أرضية لقيّم عالمية مشتركة تنبع من المقاصد العامة والكبرى لكلا الدّينين، تكون مرتكزاً تستند عليه البشرية، ودليلاً لها على إدراك الغاية من الوجود، وفي هذا الصّدد فالجدير بالملاحظة هو ذلك الارتباط الوثيق بين الأخلاق والمسؤولية في الإسلام والمسيحية، وما أحوج العالم إلى الأخلاق المبنية على المسؤولية فهي التي بإمكانها أن تحمل رؤية مستقبلية من شأنها أن تعمل على إيجاد الشروط الجوهرية التي تمكّننا من الاستمرار كأناس في أرض صالحة للحياة، وحتى نعطي معنىً إنسانياً لحياتنا الفردية والاجتماعية.

وما يجب التنبيه إليه والتّأكيد عليه في إطار التحالف الإسلامي–المسيحي، من أجل صياغة الحياة الإنسانية بنظام قيّم جديد، يأخذ منطلقه وغايته من حرص الدّيانتين على خير الإنسان، هو أن يحرص رجال الدّين و علماؤه، على عدم الوقوع فريسة الخلط بين ضعف الدّفاع عن منظومة القيّم النّبيلة بسبب اختلال موازين القوى الدّولية، وبين القيّم الضعيفة التي توفرت لها الحماية بسبب التسلّط الاستكباري، وما يستدعيه الحرص من ثبات وتمسّك بقيّم الحقّ والعدالة والاستقلال وغيرها، في مقابل التسلّط والزعامة والظلم والاحتلال وغيرها.

3- الـهيمنـة الأمريكيـة:

1. ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة4أجزاء، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية ط1 1997.

قبل الحديث عن الهيمنة الأمريكية وسعي الولايات المتحدة الدائم إلى بسط نفودها وسيطرتها على العالم، يجدر بنا الوقوف عند تكوين المجتمع الأمريكي، لنتبيّن الأسّس التي قام عليها هذا المجتمع، والتي تشكّل مقوّمات الشخصية الأمريكية، وسنكتفي بذكر وتحليل أهّم تلك الأسّس التي تخدم موضوعنا، ونترك الحديث عن الأسّس الأخرى، لأنّها تصلح في مواضع أخرى. وأهّم الأسّس في نظري هي:

أ- الإبادة والاسترقاق:

إنّ أوّل مايقف عليه الباحث في تاريخ نشأة وتكوّن المجتمع الأمريكي، هو قيامه على إبادة الشعوب الأصلية لأمريكا، الذين أبيدوا بالملايين، ثم استرقاق شعوب أخرى هي الشعوب السوداء في إفريقيا، فتاريخ الأمريكي يقول إنّه يقدم على الإبادة والقتل دونما وازع ديني أو أخلاقي، والأمثلة الحديثة والمعاصرة كثيرة: القنابل الذرية على اليابان، حرب فييتنام، تدمير أفغانستان، احتلال و تدمير العراق، الدّعم المطلق للكيان الصّهيوني[1]. وهذا النّموذج القائم على الإبادة والاسترقاق، مخالف لقيّم الدّين والثّقافة الإنسانية، وبالتّالي يكون من واجب كل مؤمن ملتزم بحقّ الإنسان في الحياة أن يواجه هذا النّموذج.

ب- الركائز البروتستانتية:

لقد تأسّس المجتمع الأمريكي من الناحية الدينية والروحية على أسس بروتستانتية، وبذلك تكون الأدبيات العبرية، القائمة على مزاعم الاختيار والاستعلاء ونزعات القتل والتّدمير، أهمّ عامل في تكوين هذا المجتمع الأمريكي والشخصية الأمريكية.

1. مجموعة من الباحثين: الإسلام والمسيحية بحث في نظام القيّم المعاصر ص68.

يقول الدكتور يوسف الحسن:" شكّلت الاتجاهات الصّهيونية عنصراً بارزاً في الحياة الثقافية والسّياسية الأمريكية، منذ البداية الأولى لاستيطان الأوربيين العالم الجديد، خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، والذي سميّ فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية[1].

فالمهاجرون الأوائل حملوا معهم التقاليدوالقناعات التوراتية وتفسيرات العهد القديم..وكانت اللّغة العبرية مهمّة في المستوطنات الأمريكية الأولى، كما أعطوا أبناءهم أسماء يهودية، وهذه كانت الخلفية التي أسّست لفكرة الصّهيونية المسيحية، التي بات لها أنصارها وتيارها العريض في الولايات المتحدة الأمريكية[2].

ج- **العنصرية:** الأساس الثالث الذي قام عليه المجتمع الأمريكي هو العنصرية والتّفرقة بين البيض والسود، وهي تعود إلى مزاعم الشعب المختار الأمريكي، الذي يتصرّف وكأنّه كيان دون سائر الناس، فنجد في خطاباتهم: أمريكا والعالم، السّياسة الأمريكية تجاه العالم...وهي تعكس روح التّسامي في مخاطبة غير الأمريكي، كما تعكس تصوّر الأمريكي للعالم والبشرية.

إنّ المجتمع الأمريكي، الذي تشكّل وفقاً لهذه المفاهيم، انتقلت إليه كل مقوّمات المركزية الغربية بعد انتهاء عصر الاستعمار ، وأصبح المحصّلة الأخيرة لتطوّر المركزية الغربية، والذي تنبأت النخبة الأمريكية[3]. له بأنّه آخر حلقة من حلقات التّاريخ.

---

1. د/ يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط1 1990 ص37.
2. يعتبر الرئيس جورج بوش (الإبن) من أهم المتمين إليه.
3. فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ. ترجمة وتعليق حسين الشيخ دار العلوم العربية بيروت 1992.

إنّ الأمركة اليوم، بتبنيها لمنطق القوّة في العلاقات الدّولية، تقطع الطريق أمام إحقاق الحقّ للإنسان والثقافات و الشعوب، إنّ منطق القوّة الأمريكي يتغذى بطاقة لاهوتية بروتستانتية مدعومة بنزوع رأسمالي متوحش، وقدرة عسكرية مذهلة، وبالتّالي فلا يمكنه أن ينتج إلاّ حالة من الاستبداد الكوني، فبإمكانات أكبر، وروح استعمارية استكبارية أجنح، تعيد الأمركة إنتاج كل تناقضات الغرب السّابقة، وتوسع من انتشارها، جاء في خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش(الإبن) بتاريخ 09/20/ 2002، بعنوان استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية: " عالمية أمريكا واضحة تعكس اتحاد قيّمنا ومصالحنا القومية.. إنّ الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح لأيّة دولة بتحدّي تفوّقها العسكري.. لتكن قوّتنا كبيرة بشكل كافٍ لمنع بروز أعداء محتملين"[(1)]. هذه القيّم التي تريد أمريكا نشرها وفرضها على العالم يرفضها حتى الأمريكيون أنفسهم، فقد جاء في بيان للمثقّفين الأمريكيين مايلي:

" نحن نعترف بأنّ أمتنا قد تصرّفت في أوقات معيّنة بغطرسة وتجاهل تجاه المجتمعات الأخرى، بما في ذلك اتّباع سياسات مضلّلة وغير عادلة، ولطالما أخفقنا فيما ننتجه من سياسات، إنّ بعض القيّم الرائجة في أمريكا غير جذابة، لابل مؤذية: النّمط الاستهلاكي كطريقة عيش، مفهوم الحرية المفتقد للضّوابط، مفهوم الفرد الذي يقدم كأنّه صانع نفسه بنفسه، وكلّي السّيادة، لا يدين بشيء للآخرين ولا للمجتمع، تراجع الزّواج والحياة العائلية"[(2)].

1. موقع البيت الأبيض على الإنترنت HOUSE.GOV/nse.nss.html.WWW.WHITE.
2. من بيان المثقفين الأمريكيين حول إحداث2001/09/11، جريدة السفير اللبنانية 2002/02/16.

لهذا اعتبرها بعض المفكرين[1]. محور الشرّ الملتزم بالقيّم المادية، المتنكر للدّين وللإنسان، ويعمل على استباحة الحرمات والمقدّسات حيث تقوم فلسفته على الاستعلاء والافساد وتحقيق المطالب والمصالح المادية، دونما اعتبار لما هو أساس للقيّم النّاظمة للحياة الإنسانية، فما من قيمة دينية استهدفت تكريم الانسان وتحقيق سعادته إلاّ ولأمريكا أطروحة تناقضها.

كلٌّ ما تقدّم يؤكد أنّ الأمركة تبشر بمستقبل بشري غامض بكل صنوف الصّراعات والتناقضات، التي لا يمكن حلّها من دون إيجاد أرضية تصالحية مع اللامتناهي والمقدس، وبالتّالي فإنّ إنقاذ إنسان القرن الحادي والعشرين لن يتم مالم تقف الأديان،الإسلام والمسيحية(الكاثوليكية بالخصوص)، في مواجهة مشروع الأمركة بكل ما يحمل من مفاهيم التسلّط والسيطرة، وضرب الهوّيات الثّقافية للشعوب والأفراد، ونشر ثقافة هابطة منحطة المفاهيم تخاطب الغرائز وتقدّس المادة ، وذلك عن طريق تقديم أسس دينية أخلاقية لنظام عالمي جديد، تكون مادته الأولى الإنسان.

إنّنا بحاجة اليوم إلى قيادة حضارية إنسانية لا تستعبد الناس ولا تُبْنى على القوّة" المادية"، وليست القوّة وممارستها من المفاهيم المحورية في أولوياتها(كما هو الحال في الفكر الأمريكي)، وليست قيمة تطلب لذاتها، بل وسيلة لتحقيق الغايات التي من أجلها منح الله الإنسان القوّة والتمكين: " **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** " [2]. نحن في حاجة إلى قيادة حضارية ترسي دعائم الأخلاق والعلاقات الإنسانية انطلاقاً من مبدأ التّعارف والتّعاون.

---

1. " الاسلام والمسيحية بحث في نظام القيّم المعاصر": جاءت أبحاث الكتاب حول نظام القيّم الأمريكية وخطورتها على مستقبل الإنسانية.
2. سورة الحج الآية 41..

4- الصّراعات والحـروب:

يشهد العالم اليوم صراعات عديدة في بقاع مختلفة، تحرّكها مصالح وأطماع الدوّل الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، ولقد شهد العالم بعد الحرب العالمية الثانية سباقاً سريعاً ومذهلاً نحو التّسلح، فيما سّمي بالحرب الباردة بين المعسكرين اللّيبرالي والشيوعي، كان نتيجته أن صرف العالم سنة 1980أربعمائة وخمسون 450 مليار دولار على التسلح[1]. حيث سعى كل معسكر إلى تطوير الأسلحة، وامتلاك أكبر عدد من الرؤوس النّووية والصواريخ العابرة للقارات، وباختصار تطوير أنظمة الدّفاع والهجوم، براًّ وجواًّ وبحراً، واليوم وبعد سقوط المعسكر الشيوعي، واستحداث الولايات المتحدة الأمريكية لعدو جديد هو الإسلام، الذي دخلت معه في حرب دينية[2].باسم"مكافحة الإرهاب" ، تعمل في كل يوم على توسيع دائرتها وزيادة لهيبها، ويبقى السّباق نحو امتلاك الأسلحة الأكثر فتكاً هو هاجس المنظومة العسكرية الأمريكية فبعد الأسلحة النّووية جاء دور الأسلحة البيولوجية والكمياوية وغيرها..إنّ العالم مهدّد بالدّمار جرّاء حالة مرضية تمر بها القوّة الكبرى في العالم، جعلتها تضع فوق كل واحد من البشر الأطنان من المتفجرات والأسلحة، وردود فعل من طرف الشعوب التي تشعر بالقهر والتسلّط الأمريكي، وهي ردود أفعال لا يمكن تقدير حجمها وعواقبها.

إنّ العالم اليوم يحتاج أكثر من أيّ يوم مضى، من أجل الحفاظ على أمنه، إلى تفاهم ديني شامل، إذ ليس من الممكن أن نبلغ في غاية المطاف تفاهماً سياسياً من دون هذا التفاهم، فكلمة السّاعة هي التّالية: أن نبدأ الآن التفاهم

---

1. روجيه غارودي: وعود الاسلام. الدار العالمية للطباعة والنشر بيروت- ط1 1984 ص 22.
2. روجيه غارودي: نحو حرب دينية ترجمة صياح الجهيم دار عطية بيروت ط2، 1997.

الدّيني، وأن نعمل بقوّة من أجل التفاهم والحوار بين الأديان[1]. فإذا اضطلع رؤساء كل الدّيانات الكبرى وحتى الصغرى، بمسؤوليتهم اليوم وأبدوا رأيهم بعزم في السّلام واللاّعنف والمصالحة والغفران، فأيّ وَقْعٍ يكون لعملهم على عالم الغد؟ وأيّ وقع يكون لهم إذا تكاثفوا من جميع جهات العالم، من أجل إيجاد حلول للصّراعات بدلاً من إشعال الفتن؟ فعلى ديانات العالم اليوم وخاصة الإسلام والمسيحية أن تقّر بمسؤوليتها بالاشتراك من أجل السّلام في العالم، لأنّه لا سلام بين الأمم من دون سلام بين الدّيانات، أيّ لا سلام عالمي من دون سلام ديني[2]. وقد دفع هذا ممثلين عن ديانات العالم لعقد مؤتمر من أجل السّلام بمدينة كيوتو اليابانية سنة 1970 ، وعبّروا من خلال البيان الذي أصدروه في ختام المؤتمر، وبطريقة رائعة، عماّ يمكن أن يكون ميثاق سلام بين الدّيانات والشعوب في خدمة السّلام العالمي:" **نحن البهائيين والبوذيين والكنفوشيوسيين والمسيحيين والهندوسيين والجينيين واليهود والمسلمين والشنتيين والسيخ وأتباع زرادشت، وأتباع الديانات الأخرى، اجتمعنا لمصلحتنا العامة من أجل السّلام، اجتمعنا لنتطرّق إلى موضوع السّلام الأوّلي، لقد اكتشفنا أنّ مايجمعنا هو أهم من الذي يفرقنا، اكتشفنا أنّ هناك أموراً مشتركة مهمّة بيننا**"[3].

1. هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي ص 261.
2. المرجع نفسه ص 167.
3. هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي، ص 117.

ودفع أيضاً المسلمين والمسيحيين إلى عقد مؤتمر بالنمسا سنة 1993، خصّص لموضوع السّلام من وجهتي نظر الإسلام والمسيحية[1].وقد نشرت أعمال هذا الملتقى كاملة من طرف جامعة القديس يوسف بلبنان.

5- العلم والتكنولوجيا وآثارهما على الإنسان والبيئـة:

يشهد العالم اليوم تحوّلات كبيرة سريعة وعميقة، تحوّلات نموذجية تاريخية، تشمل عالم الحياة، وعالم الشغل والاقتصاد، وعالم التكنولوجيا والاتصال، حتّى أصبح شعار العالم المتقدّم اليوم:"**ينبغي أن تعمل دوماً أكثراً، ودوماً أفضل، ودوماً أسرع**"، ولكنّ هذا التحوّل، وإن كانت له فوائده العاجلة والنسبية زمانياً ومكانياً، فإنّ أخطاره باتت ظاهرة للعيان، فالنّمو الاقتصادي كغاية تدعمه آلية تقنية وعلمية ومعلوماتية واتصالية مذهلة، قد نتج عنه في العالم أجمع نتائج لا إنسانية: تدمير بيئة الإنسان الطبيعية، عدم الاستقرار الاجتماعي... فما برحت وسائل الإعلام تردّد يومياً العبارات التالية: **نقص في الموارد، صعوبة في المواصلات، اختناق الطّرقات،تلوّث في البيئة، تدمير للغابات، نتائج خطيرة لبيوت الزراعة البلاستيكية، فجوة في الأوزون، تبدّل في الطّقس، الوضع المأساوي للنفايات، موت نووي، البطالة المتزايدة،أزمة الديون العالمية، الهجرة**..حتّى أصبح من المؤكّد أنّ الإنجازات التقنية والكوارث البيئية تسيران جنباً إلى جنب[2].

لقد كان من نتائج الحرص على السبق العلمي دون الحرص على الحكمة، وامتلاك التكنولوجيا بدون الطاقة الرّوحية، والتقدّم الصّناعي بدون علم البيئة،

1. أندراوس بيشتة وعادل تيودور الخوري: سلام للبشر، المسيحية والاسلام ينظران إلى السلام في أسسه ومشاكله وأبعاده المقبلة، المكتبة البولوسية بيروت 1997

2. هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي ص 38.

إلى أن أصبح الإنسان والبيئة مهدّدين، وبالتّالي أصبحت الحياة كلّها على كوكب الأرض مهدّدة، ومن التّهديدات الكبرى على الإنسان والبيئة:

أ- استخدام الطاقة النّووية، من أجل أهداف سلمية أو حربية، يمكن أن يؤدّي ضمن مجابهة جيو استراتيجية واسعة إلى تدمير ذاتي للإنسانية[1].

ب- تعزيز تقنيات الاتصالات(معلوماتية، اتصال عن بعد، الهاتف النّقّال، مجموعة الخدمات المعلوماتية) يقود إلى إنتاج ضخم من المعلومات، بحيث يصعب على الفرد التائه كلّياً أن يسيطر عليها.

ج- تطوير التّقنية الجينية، ضمن مطمح علمي أو في إطار ربح جشعي لا علمي، من شأنه أن يقود إلى تلاعبات بشعة تهدّد مستقبل الإنسان.

د- تطوير تقنية الطّب تثير أسئلة عن الكرامة الإنسانية، فيما يتعلق بالتّناسل ومعالجة الأجنّة والقتل الرّحيم المتعمّد[2].

هـ- تدمير الغابات حيث تدمّر كل سنة من الغابة الاستوائية مساحة تضاهي مساحة دولة متوسطة.

و- الاستنفاد الطائش للموارد الطبيعية والتلويث الذي يهدّم البيئة الحياتية[3].

ك- ينقرض كل يوم من سطح الأرض صنف حيواني أو نباتي.

لقد أدى الفصام بين العلم والدّين إلى تحويل العلم، المجرّد عن التّقوى والإيمان والمسؤولية الأخلاقية، إلى سلاح هدم خطير، صارت البشرية جمعاء

1. هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي، ص 43.
2. هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي، ص 44.
3. روجيه غارودي: وعود الاسلام ص 22 .

تتجرّع من أضراره ومفاسده ونتائجه المخيفة لحدود قصوى[1]. لقد أدّت هذه الأوضاع، المأساوية، ببعض المفكرين إلى التساؤل:أنّه ومادام العلم والتكنولوجيا لا تتلاءم نتائجهما مع الإنسان، فهل سيتوصلان إلى صنع الإنسان المناسب لنجاحتهما من خلال تعديل نظام الجينات؟

وهو التساؤل الذي يكشف عن عمق المشكلة التي تتحدّى القادة والرؤساء الرّوحيين للعالم، للعمل من أجل إيجاد نظام قيّم جديد يحكم هذا الجنوح العلمي والتكنولوجي القاتل، من خلال:

1- العمل على تحويل العلم من علمٍ متحرّر أخلاقياً إلى علمٍ مسؤول أخلاقياً.

2- العمل على تحويل السّلطة التقنية المتحكمة في الإنسان، إلى تقنية في خدمة الإنسان والإنسانية.

3-العمل على تحويل الصّناعة، من صناعة تدمر البيئة إلى صناعة تخدم مصالح الانسان الأساسية وحاجاته، في وفاق وتناغم مع الطبيعة.

إنّ هذا التحوّل لا يعني أبداً، تحول ضدٍّ، أيّ حضارة تتجنب العلم والتكنولوجيا، بل هو تحوّل مع، فينبغي ألاّ تلغى قيّم المثابرة والعقلانية والتنظيم والدّقة والانضباط والرّصانة والانجاز والفعالية،بل أن تفسّر ضمن فضاء جديد يتلاءم مع القيّم الإنسانية، أي الإبداع والرّقة والانفعال والحرارة والحنان، الهدف من التحوّل إذاً ليس الإقصاء أو الإدانة، بل التوازن بين النزعات العقلية والانفعالية والجمالية الكامنة في الإنسان، ضمن رؤية كلّية للعالم والإنسان في أبعادهما المختلفة، ومن هنا يصبح من حقّنا أن نتساءل مع موريس بورمانس: هل ستعمل الأديان ورؤساؤها على تحقيق هذا ؟ و هل يكون من الخيال الجانح

---

1. د/ عرفان عبد الحميد فتاح: خصائص المنهج العلمي ومقاربته في القرآن الكريم، مجلة التجديد الجامعة الإسلامية ماليزيا العدد1، جانفي 1997ص 25.

أنّ التّقنية ستصبح هي أيضاً حضارة فتُقْرِنُ، فيما تصنعه، الجمال بالحقّ والخير؟[1].

والحقّ أنّ واجب المؤمنين من أتباع الدّيانتين هو العمل على رسم خطة مستقبلية، يكون فيها التوجّه الأساسي، نحو تحديد مسؤولية الإنسان تجاه نفسه والعالم، أيّ مسؤولية كونية.

ضمن هذا المنظور اقترح بعض الباحثين قواعد من شأنها ان تعمل على تحديد هذه المسؤولية، منها:

1- ألاّ يكون هناك تطوّر علمي أو تقني يخلق مشاكل أكثر من الحلول عند تطبيقه.

2- كل من يعرض معرفة علمية جديدة، أو ينادي بابتكار تقني جديد، وكل من يستخدم إنتاجاً معيناً، ينبغي له أن يبرهن أنّ ماصنعه لن يكون له نتائج اجتماعية أو بيئوية مفجعة.

3- تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة.

4- استمرارية الإنسان لها أفضلية على تطوّرٍ ذاتي لإنسان أو لجماعة معيّنة.

5- إعطاء الأفضلية للنظام البيئوي الذي ينبغي ألاّ يدمرّ [2].

6- اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي بين الشمال والجنوب:

يعرف العالم اليوم هوّة كبيرة من جميع النّواحي، بين شمال الأرض وجنوبها، هوّة تشهد عليها الثنائيات التّالية:

---

1. موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار ص 122.

2. هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي ص79.

الشمال	الجنوب
– غنى فاحش	– فقر مدقع
– تقدّم علمي	– جهل وتخلف
– انتظام في تزايد السّكان	– تفجّر سكاني
– العناية الطبية، الوقاية والعلاج	–الأمراض وقلّة العناية الطبية والأدوية
– تراكم رأس المال	–الاستدانة،تضخم الديون وفوائدها
– الانتاج وما ينتج عنه من توفر مناصب العمل	– الاستهلاك وما ينتجه من بطالة وضرب الاقتصاديات المحلية

إنّ مأساة مايسمى العالم الثالث يمكن إجمالها في حجم الديون الكبيرة، التي ترهق كاهل بلدانه الفقيرة، وهي مشكلة كان سببها الاستعمار. لقد عمدت الدوّل المستعمِرة عند خروجها من البلدان المستعمَرة إلى تفكيك بُنى اقتصادها الوطني، وجعلت منها توابع تلحق باقتصادها، ومثل هذا الاقتصاد لايمكن أن يؤمّن الاستقلال ولا الاكتفاء الغذائي الذاتي، فاستمرت التّبعية وغدت القروض لا مفرّ منها، وما يتصل بالقروض هو الفوائد الرّبوية التي تدفع للمقرضين الأجانب، وهي منهكة لكل محاولة تنمية اقتصادية، فالجزائر مثلاً كانت مدينة في فترة التسعينات من القرن الماضي بحوالي **26** مليار دولار، كانت تدفع عليها سنوياً 6 مليار دولار كفوائد(1). وفي ظل هذه الظروف يصبح كل تصحيح اقتصادي بعيد المنال.

1. روجيه غارودي: نحو حرب دينية ص 80.

لقد بلغت ديون العالم الثالث سنة 1994 أكثر من **1500** مليار دولار أمريكي، وهو مبلغ ضخم يعوق أيّة محاولة إنماء للنصف الثاني من العالم، لتكون بذلك شعوبه عرضة لـ:

– الجوع: حيث يموت سنوياً ملايين من سكان قارة إفريقيا وأمريكا اللاتينية، بسبب نقص التغذية.

– الأمراض: حيث يموت ملايين البشر بسبب الأوبئة ونقص الأدوية واللقاحات، يقول روجيه غارودي:" نحو **35000** طفل مايزالون يموتون كل يوم في العالم، من جرّاء أمراض يمكن تفاديها بسهولة أو يمكن شفاؤها، **60 %** من الوفيات تعزى إلى أمراض ثلاثة: التهاب الرئة والإسهال والحصبة.. كما أنّ نقص الفيتامين "**أ**" يهدّد بالموت والأمراض الخطيرة والعمى عشرة ملايين طفل في العالم.. كما أنّ نقص"**اليود**"يهدّد مليار شخص ويظل أحد الأسباب الرئيسية للتخلف العقلي في العالم، في حين أن كمية اليود الضرورية لحياة إنسانية تحتويها ملعقة قهوة، والقضاء على هذا النقص يكلف مائة مليون دولار أمريكي، أيّ مايعادل طائرتين مقاتلتين"(1).

تعاني شعوب الجنوب من كل هذه الآفات، في حين أنّها تمدُّ بلدان الشمال بالمواد الأوّلية التي تحرّك عالم الصّناعة والاقتصاد في هذه البلدان، وهو الأمر الذي يستدعي إعادة تقدير أسعار المواد المصدّرة، الآتية من بلدان الجنوب، لوضع حدٍّ لمبادلات متفاوتة تفاوتاً آخذاً في التّزايد كل يومٍ، واتخاذ تدابير أخرى من أجل تبديل جذري لعلاقات الشمال بالجنوب، ومن بينها على سبيل المثال: العمل على تحويل الصّحراء في إفريقيا إلى أرض خصبة، والتي لاتحتاج إلاّ إلى بعض الأشغال التي قدّر الأخصّائيون قيمتها بمليار ونصف مليار دولار

1. روجيه غارودي: نحو حرب دينية ، ص 83.

أمريكي، وهو كما يقول غارودي: سعر حاملة الطائرات مع طائراتها، وهي قيمة أقل بنحو مائة مرّة من مجموع الاعتمادات للتجهيزات العسكرية التي نصّت عليها ميزانيات فرنسا من **1995** إلى **2000**[1].

إنّ العالم بحاجة إلى نظام اقتصادي عالمي جديد، تكون فيه لأتباع الدّيانتين، الإسلام والمسيحية، مساهمة فعّالة في وضع أسّسه ومنطلقاته، حيث يعملون على تفعيل قيّم العدالة الاجتماعية التي تنبع من عقيدتهم. إنّ الإيمان يجب أن يقود إلى الرّحمة، وإنّ المؤمنين مدعوون إلى حمل هموم المضطّهدين والمشرّدين في هذا العالم، و إلى البحث عن الطرق التي بواسطتها يمكن تخفيف آلام المتألمين المحرومين في كل مكان[2]. والعمل على القضاء على التفاوت الكبير بين شمال الأرض وجنوبها، وتفعيل مبدأ المشاركة بجعل ثروات الأرض في متناول سكانها كافّة، لأنّ وجود ملايين الجياع في أرجاء المعمروة هو وصمة عار على جبين الإنسانية كلّها، وفيه إساءة إلى كلّ القيّم الدّينية.

بالإضافة إلى التحدّيات المذكورة، توجد تحدّيات أخرى تواجه أتباع الدّيانتين وهي كالآتي:

– الأسرة وما يتّصل بها من قضايا، مثل قدسية الزّواج، الإنجاب، البشرية، كرامة المرأة وترقيتها، بحيث يفترض أن تتوحّد فيها مواقف الدّيانتين لمواجهة ما يهدّد الحياة الأسرية مثل: الزّواج بالمثل، الإجهاض، الوضع المزري للمرأة (استغلالها في عدّة مجالات).. وتفعيل دور الدّين في صياغة النّفس الإنسانية السّوية، وتوجيهها نحو الخير والفضيلة والقيّم الرشيدة، ومحاربة القوى والتأثيرات والتغيّرات المجتمعية، التي ينتج عنها عدم الاستقرار والتفكّك في العائلات،

---

1. المرجع نفسه ص 84.
2. البيانات المسيحية الاسلامية المشتركة ص 21.

والعمل في البيوت والمدارس لتجنب ضياع الأجيال، جرّاء إهمال الأهل أولادهم وسوء معاملتهم[1].

–الهجرة ومايتّصل بها من قضايا مثل: العنصرية، أوضاع الأقلّيات الدّينية، الجريمة المنظّمة، المخدرات... وواجب المؤمنين من أتباع الدّيانتين هو العمل على تحسين أوضاع المهاجرين والأقلّيات الدّينية وصيانة حقوقهم الإنسانية في الحياة الكريمة، وممارسة الشعائر الد،ينية وماتقتضيه من السّماح لها بإنشاء دور العبادة.. بحيث تعيش كل مجموعة دينية وفقاً لتعاليم إيمانها، وأن تؤمِّنَ استمراريتها، ثمّ إدانة الانتهاكات القاسية لحقوق الإنسان الأساسية عند الأقليات الدينية في كافّة بقاع العالم، لأنّ شعور هذه الأقلّيات بالتّهميش والنّبذ ينتج عنه أزمات يمكن أن تعصف بالبلدان التي تعيش فيها[2]. فواجب المؤمنين، مسيحيين ومسلمين، هو الكشف عمّا في الدّيانتين من مبادئ تضمن طرقاً للتعايش، في إطار الاحترام والمشاركة، ثمّ تفعيل هذه المبادئ في الحياة داخل المجتمعات ذات التركيبة التعدّدية.

إنّ هذه التحدّيات المذكورة وتحدّيات أخرى، هي في الحقيقة مجالات للعمل المشترك بين أتباع الدّيانتين، تفتح أمامهم آفاقاً جديدة، من أجل تقديم إجابات موحّدة ومقنعة وفعّالة من أجل تحسين وضع الإنسان، ليصبح الإنسان المنشود من وراء هذا العمل المشترك، هو الإنسان الذي يتجاوب مع الله ويتجاوب مع سائر الضمائر، ويتجاوب مع الكون فيتجاوب مع نفسه.

---

1. البيانات المسيحية الاسلامية المشتركة ، ص 154.

2. أحداث ضواحي عاصمة فرنسا (باريس) سنة 2006، والتي عمّت فيما بعد في كلّ فرنسا وكان وراءها أبناء الجالية المغاربية المهاجرة الذين شعروا بالتهميش.